الصفة الخطّية للكلام

دراسة لسانية في تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)

أ.م.د. حامد كاظم عباس

كلية اللغات / جامعة بغداد

The linear quality of speech/A linguistic study in the interpretation of Al-Razi ("Mafateeh Al-Qayeeb")

Assist. Prof. Dr. Hamed Kazem Abbas
College of Languages / University of Baghdad

- تاريخ استلام البحث ٢٧ / ٢ / ٢٠٢١ م
- تاريخ قبـــول النشر ٢٠ / ٤ / ٢٠٢١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

هذا البحث (الصفة الخطية للكلام / دراسة لسانية في تفسير الرازي) يعنى بدراسة بعض المظاهر اللسانية التي أثارها فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير المعروف بـ(مفاتيح الغيب) ، والوقوف عندما يعرف في اللسانيات المعاصرة بـ(الصفة الخطية للكلام) .

وقد أثبت البحث أنّ الرازي أكد ما نصطلح عليه اليوم بـ(الصفة الخطية للكلام) ، أي أنّ الدال ذو طبيعة سمعية وأنّه يجري في الزمن وحده ، ويرى الرازي أنّ السبب في خطية الكلام هو شرط الإفادة ، وقد اهتدى الرازي إلى بعض المفاهيم الجديدة في هذه المسألة وبخاصة ما اطلق عليه بـ(التوالي والتعاقب) ، أو بمعنى آخر أنّ التباعد بين الحروف يفضي إلى نقض طبيعة الكلام والتطابق متعذر .

الكلمات المفتاحية: الرازي ، لسانيات قرآنية ، التراث العربي ، اللغة والزمن.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

هذا البحث (الصفة الخطّية للكلام، دراسة لسانية في تفسير الرازي) يُعنى بدراسة بعض المظاهر اللسانية التي أثارها فخر الدين الرازي[1] في تفسيره الكبير المعروف ب (مفاتيح الغيب)، والوقوف بشكل خاص عندما يعرف في اللسانيات المعاصرة ب(الصفة الخطّية للكلام)

ومعلوم أنَّ اللسانيات المعاصرة على الرغم من أنّها من انجازات التقدم العلمي في العصر الحديث إلا أنها لم تكن بدعا ليس له سابق، وليس خافياً على الباحثين أنَّ هناك آراءً تدخل في صميم البحث اللساني المعاصر جاءت في مؤلفات الأصوليين والمتكلمين والمفسرين سبقوا بها رواد اللسانيات المعاصرة.

وهذا البحث يحاول الوقوف على الطروحات والآراء اللسانية التي أثارها فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير، وبالتحديد الوقوف عند مسألة (الصفة الخطّية للكلام)، وهي من الناحية الإصطلاحية واحدة من انجازات البحث اللساني المعاصر، ولكن الفكر العربي القديم أشار بكل وضوح إلى علاقة اللغة بالزمن وما يترتب على ذلك من خصوصية للكلام لا تتحقق في غيره من وسائل الإتصال. وجاء البحث في مبحثين وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها، وكان المبحث الأول بعنوان (الظاهرة اللسانية عند الرازي)، وقد جاء في محورين، إتجه المحور الأول إلى دراسة علاقة الإنسان باللغة، وفيه بيان لموقف الرازي من هذه المسألة، وكان المحور الثاني دراسة لمسألة نشأة اللغة وإختلاف الأقوال والاتجاهات فيها، وفيه بيان لموقف الرازي وما أنتهت إليه اللسانيات المعاصرة في هذه القضية. وكان المبحث الثاني بعنوان (الصفة الخطّية للكلام)، وقد جاء في محورين، إتجه المحور الأول إلى دراسة مفهوم الصفة الخطّية في اللسانيات المعاصرة، وفيه بيان لجذور هذه المسألة في التراث العربي وبخاصة عند القاضي عبد الجبار المعتزلي، وعند عبد القاهر الجرجاني، وكان المحور الثاني دراسة لمفهوم الصفة الخطّية عند

الرازي تحديدا، الذي حظيّ بالتأخير الزمني فأفاد من كتابات السابقين، وفيه بيان لماهية الكلام عند الرازي وموقفه من اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول في حالتي الأفراد والتركيب.

والحمد لله تعالى في الأولى والآخرة.

أ.م.د. حامد كاظم عباس

المبحث الأول
الظاهرة اللسانية عند الرازي

المحور الأول: علاقة الإنسان باللغة:

اللغة (الكلام) ظاهرة اختص بها الإنسان وحده دون سائر الحيوان، فالإنسان يصوغ أفكاره في قوالب لغوية وإن كان تفكيره باطنياً، واللغة تعبر عن الأفكار (أو تعبر عن وعي الإنسان بما حوله)، وفضلا عن ذلك هي تجعل الأفكار ممكنة، فيمكنني أن أعرف بمعنى ما أنَّ لي خمس أصابع من غير معرفة كلمة (خمس) ولكنني لا أستطيع أن أعرف أن عدد سكان بغداد مثلا حوالي سبعة ملايين نسمة مالم أكن قد حصلت على معرفة بلغة الرياضيات[٢].

وقد حاول بعض اللغويين المعاصرين أن يكشف عن طبيعة اللغة وأن يقربها إلى الإفهام فقارنها بالسير، وخلاصة رأيه أنَّ (السير) وظيفة إنسانية موروثة بيولوجية، إنه وظيفة عضوية، غريزية، أما الكلام فهو وظيفة إنسانية غير غريزية، بمعنى أنّه وظيفة مكتسبة، فاذا قمنا بعزل (وليد صغير) عن مجتمعه الإنساني فإنّه سيتعلم كيف يسير ولكنه لن يتعلم كيف يتكلم، أي كيف يمارس النشاط اللغوي السائد في مجتمعه[٣]، وإلى هذا المعنى ذهب الفيلسوف الإنكليزي جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤م) الذي بحث في طبيعة الألفاظ في اثناء معالجة مشكلة المعرفة، وهو يرى أنّ الإنسان غير مفطور على اللغة على الرغم من أنّ الله سبحانه وتعالى قد زوّده بالقدرة على استخدامها عندما وهبه القدرة على النطق بالأصوات[٤].

ولابدَّ من القول أنَّ اللغة جزء من شمولية الخلق، بل من ضروراته، بمعنى آخر أنّها جزء من منظومة كلية متكاملة بعضها يؤدي إلى بعض، وهناك الكثير من البراهين والأشياء المترابطة التي تدعونا إلى أن نقر بأنَّ اللغة جزء من شمولية الخلق، وهي ذات أبعاد فسيولوجية ووجودية؛ ذلك أننا لا يمكننا أن نعزل وجود العينين في تكوين الإنسان عن ظاهرة البصر مثلا، وكذلك لا نستطيع عزل وجود جهاز السمع عند الإنسان عن ظاهرة السمع، ولا عن وجود الصوت الذي بدونه لا يمكن السمع[٥].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وقد أجمع الباحثون على أنَّ اللغة لا تحيا إلا في ظل مجتمع إنساني، يقول فندريس: (في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم)[٦]. وهذا يعني أنَّ طريقة ممارسة النظام اللغوي عند الإنسان أمر اجتماعي يتعلق بالإنسان والمجتمع والثقافة، وأساس هذه الممارسة هو كيفية وعي الإنسان بما حوله؛ لأنَّ اللغة هي وسيلة الإنسان للتعبير عن هذا الوعي، وهذا القول يقودنا إلى تصور علاقة بين الطبيعة أو العالم الخارجي من حولنا وبين الوعي واللغة؛ فإذا كان الوعي هو إنعكاساً للعالم الخارجي واللغة تعبير عن هذا الوعي، فإنَّ اللغة تكون تعبيرا عن العالم الخارجي نفسه، ولكن لابدَّ من القول إنّ اللغة وبعد مراحل من التطور لم تُعد مجرد وسيلة التعبير عن وعي الإنسان للعالم الخارجي، بل تتحول إلى وسيلة لوعي الإنسان لوعيه، أي فهم هذا الوعي الإنساني أو فهم وعي الإنسان للطبيعة، وبكلمة أُخرى فإنّ اللغة تصبح وسيلة للتعبير عن إدراك الإنسان لعناصر العالم الخارجي، وهناك فرق بين الوعي والإدراك، فالوعي هو شعور بوجود شيء، إنّه صورة في الذهن عن الواقع، وكل الكائنات لها وعي بشكل أو بآخر، أما الإدراك فيعني فهم حقيقة الشيء، بمعنى آخر هو تصور مجرد، أو تركيب صورة في الذهن قد تخالف أو تتباين مع صورة الشيء في الواقع[٧].

وإذا نظرنا في كتب التراث العربي نجد أنّ علماءَنا القدامى انتبهوا على أنّ علاقة الإنسان باللغة هي علاقة بالطبع والإقتضاء لا بالعرض والإتفاق، ومعنى ذلك أنّ الإنسان في كينونته الجوهرية موجود متكلم، فتركيبه الطبيعي مقتض للبعد اللغوي بالضرورة[٨]، ولا يكاد يخلو تعريف للإنسان من قصر سمة التمييز الإنساني على ظاهرة الكلام، أي إنّ النطق يمثل نقطة الفصل بين الإنسان وسائر الحيوان، وهذا دفع الشهر ستاتي (ت ٥٤٨هـ) إلى القول: (النفس الناطقة هي الإنسان من حيث الحقيقة)[٩]. وقد حلل عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) علاقة الإنسان باللغة، وهو يرى أنَّ الكلام بمنزلة القادح لخروج كوامن الإنسان وطاقاته من حيز القوة إلى حيز الفعل، حتى أن كل قوى العقل والخاطر والفكر هي أبداً حبيسة مالم ينفث فيها الكلام معالم

الوجود، إذ (لولاه لم يكن لتتعدى فوائد العلم عالمه، ولا صحَّ من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه...)[١٠]، وتُحدد وظيفة اللغة عند عبد القاهر الجرجاني بالطاقة الإبلاغية- أي إفادة الإخبار قبل كل شيء-، ولكن بمجرد ضم كلمة إلى أخرى تحصل بنية جديدة نطلق عليها نحويا (الجملة)، وهنا يظهر السؤال: ما الذي يكمن وراء التحام جزأين حتى يصير منهما كُل دلالي لا يتجزأ؟ وليس من جواب عند الجرجاني إلا (العقل) بوصفه منظم اللغة، فأنشأ من تلك العناصر عنصرا جديدا هو إنصهار لها جميعا [١١]. وهنا نلحظ وجود تقارب واضح بين تحليل الفيلسوف الانكليزي رسل (١٨٧٢-١٩٧٠م) في ما أُطلق عليه بـ(الوقائع الذرية) التي تبحث في مبادئ وأوليات المعرفة وهي المفردات التي تدخل في البناء اللغوي العام، وبين تحليل عبد القاهر الجرجاني لإركان الجملة المكون من المفردات المنصهرة في رباط عقلي وعلاقة منطقية. ومعلوم أنَّ الفيلسوف الانكليزي رسل قد بحث في علاقة اللغة بالعالم الخارجي، ونراه يفرق بين الشيء والواقعة، فالشجرة والمنضدة والطائر عبارة عن أشياء، وأما الواقعة فهي ترابط تلك الأشياء بعلاقات معينة، مثل قولنا: (الكتاب فوق المنضدة)، وهذه الواقعة يمكن تحليلها إلى أجزاء بسيطة، وهذه الأجزاء يطلق عليها رسل (الوقائع الذرية) التي لا يمكن أن تنحل إلى وقائع أبسط منها، في حين أن الواقعة الكبيرة (الجملة) تنحل الى وقائع أصغر، والتحليل الوحيد الذي يمكن أن تخضع له الوقعة الكبيرة أو الجملة هو التحليل المنطقي، أو العلاقات المنطقية التي تربط بين هذه المفردات[١٢]، كما هي الحال عند عبد القاهر الجرجاني الذي بحث في العلاقة المنظمة للجملة ورأى أنَّ العقل أو المنطق هو المنظم للمفردات.

وبعد هذا المدخل نحاول ان نتعرف موقف فخر الدين الرازي من هذه القضية وكيف كانت تصوراته للعلاقة بين اللغة والإنسان.

ونلحظ في أول الأمر أنَّ الرازي حاول أن يوضح الحكمة من وضع الألفاظ وحاجة الإنسان للغة، وذلك لأنّ الإنسان خُلق بحيث لا يستطيع القيام بجميع الأمور التي يحتاج اليها في حياته ومعاشه اليومي، فأحتاج الى أن يُعرّف غيره ما في ضميره (ليمكنه التوسل به الى

الاستعانة بالغير، ولا بدَّ لذلك التعريف من طريق، والطرق كثيرة،... إلا أنّ أسهلها وأحسنها هو التعريف ما في القلوب والضمائر بهذه الألفاظ)[١٣].

في هذا النص أشار الرازي الى بعض النقاط التي أثارها اللسانيون المعاصرون، وأول هذه الأشياء أنَّ الوظيفة التواصلية هي أهم وأبرز الوظائف اللغوية، ذلك أنّ (الحدث اللساني ملازم للوجود البشري مهما تباعد المكان أو تعاقب الزمان)[١٤]، فاللغة في استعمالها اليومي أداة يتوسل بها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين مجتمعه، وهذا ما انتهت اليه الدراسات اللسانية المعاصرة[١٥]، وفي هذا الشأن يرى (مارتناي) رائد المدرسة الوظيفية الفرنسية أنّ الوظيفة الاساسية للغة هي (تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع... ولكن لا يجب ان ننسى أنّ للغة وظائف أُخرى أهمها احتواء الفكر) [١٦].

ويثير الرازي مسألة أخرى في علاقة الإنسان باللغة، وهي أنّ السمة الأساسية التي تميز الإنسان عما سواه هو قدرته على تعريف الغير بالأمور التي تجول في خاطره بالنطق والخطاب، ويتضح هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ((وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)) (ص/٢٠)، وهو يرى أنّ الأجسام في هذا الكون على ثلاثة أقسام: قسم خال من الإدراك والشعور، وهي الجمادات والنباتات، وقسم يحصل له إدراك وشعور ولكنه لا يستطيع تعريف غيره ما يجول في خاطره، وهو جملة الحيوانات سوى الإنسان، وقسم يحصل له إدراك وشعور ويملك القدرة على تعريف غيره بالأشياء التي تجول في خاطره وفكره بالنطق والخطاب[١٧]. وواضح أنّ الرازي لا يخرج عن الفهم السائد في الفكر العربي القديم الذي يرى أنّ البُعد اللغوي هو العنصر المحدد لخصوصية الإنسان ضمن الموجودات الأخرى، وأنّ اللغة بوصفها مؤسسة وجودية تستوعب من (الإنسان التمييز العقلي والتفكير النفساني والتصوير الخيالي)[١٨]، وإنّ الإنسان بطبعه يملك الإستعداد الخلقي- أي البيولوجي- لأداء ما لا تتم الظاهرة اللغوية إلا به، وهو حدث الصوت والتقطيع (أي تقطيع الحروف) يقول الرازي: (ثَم إنّ المقدر الحكيم والمدبر الرحيم جعل هذا الأمر المطلوب على سبيل الغرض الواقع في المرتبة السابعة مادة للصوت، وخلق محابس ومقاطع الصوت في الحلق

واللسان والأسنان والشفتين، وحينئذ يحدث بذلك السبب هذه الحروف المختلفة، ويحدث من تركيباتها الكلمات التي لا نهاية لها... فسبحان الخالق المدبر)[١٩].

ويستطرد الرازي إلى بيان الفرق بين علاقة العقل باللغة وعلاقته بالأشياء الأخرى، ولما كانت اللغة اعتباطية من حيث المنشأ (مبدأ التواضع)، بمعنى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة قائمة على المواضعة والاتفاق، ولا دخل لطبيعة الرموز الصوتية بمعانيها، وهي علاقة تقوم على أساس العرف اللغوي الاجتماعي[٢٠].(ظهر ما قلناه إنّه لا معنى للكلام اللساني إلا الإصطلاح من الناس على جعل هذه الأصوات المقطعة والحروف المركبة معرفات لما في الضمائر، ولو قدرنا أنّهم كانوا قد تواضعوا على جعل أشياء غيرها معرفات لما في الضمائر لكانت تلك الأشياء كلاما أيضاً...)[٢١]. وهذا يعني أنّ العقل عاجز عن أنْ يهتدي بذاته الى اقتران الدوال اللغوية بمدلولاتها، ذلك لأنّ العقل لا طريق له الى معرفة اللغات (بل ذلك لا يحصل إلا بالتعليم، فان حصل التعليم حصل العلم به، وإلا فلا، أما العلم بحقائق الأشياء فالعقل متمكن من تحصيله)[٢٢].

وبهذا الفهم والتحليل المنطقي يحدد الرازي علاقة الكلام بفاعله، ومثلما أكّد ضرورة وجود شرط المواضعة في الدلالة اللغوية في كلامه السابق: (و لو قدرنا انهم كانوا قد تواضعوا على جعل أشياء غيرها – أي الألفاظ – معرفات لما في الضمائر لكانت تلك الأشياء كلاما أيضاً...)، نراه في موضع آخر يؤكد ضرورة وجود شرط القصد الى جانب المواضعة في الدلالة اللغوية على الرغم من استقراره على مذهب الأشاعرة الذين اكتفوا بشرط المواضعة دون الإشارة الى شرط القصد، (لأنّ القصد عندهم لا يمكن معرفته إلا بدلالة الكلام، ولذلك وحّد الأشاعرة بين الكلام – الدلالة – والمعاني النفسية – المدلول– واعتبروهما شيئا واحدا) [٢٣]، ويتضح هذا الشيء عند الرازي – أي ضرورة وجود شرط القصد في الدلالة اللغوية – وهو يخوض غمار تفسير قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا))، (الاسراء /٨٥)، ونراه يدخل في متاهات تفسير حقيقة الروح وماهيته، وحقيقة النفس ومذاهب الناس في

حقيقة الإنسان، وفي أثناء ذلك يصرح بقوله: (إنا إذا تكلمنا بكلام نقصد منه تفهيم الغير عقلنا معاني تلك الكلمات تم لما عقلناها أردنا تعريف غيرنا تلك المعاني، ولما حصلت هذه الإرادة في قلوبنا حاولنا إدخال تلك الحروف والأصوات في الوجود لنتوسل بها الى تعريف غيرنا تلك المعاني)[٢٤]. وهذا يعني وجوب ادراك المتكلم معاني ودلالات ألفاظه قبل بثّها، لأنّ الكلام (قد يحصل من غير قصد فلا يدلّ، ومع القصد فيدلّ ويفيد)[٢٥]، ومعنى ذلك أنّ المواضعة – وحدها – تتساوى مع الإشارة، أما القصد فهو الذي يعطي المواضعة ثباتها ويحول الأصوات الى دلالة[٢٦].

وفي مجال الدرس الصوتي نجد واحدة من اللفتات المهمة للرازي وهو يفرّق بين مستويات الصوت عند المتكلمين، ومعلوم أنّ الدرس الصوتي في اللسانيات المعاصرة قد إهتم بمراقبة أعضاء النطق وهي تؤدي وظيفتها في إحداث الصوت، ودراسة الصوت اللغوي لها علاقة بعلم الصوت العام، أي الفيزيائي، لذلك يُعرّف الصوت (بإنّه الأثر الواقع على الأُذن من بعض حركات ذبذبية للهواء)[٢٧]، وبالانتقال الى المستوى التحليلي لدلالة النص القرآني نجد عناية الرازي واضحة في تحديد مستويات الصوت عند المتكلمين، وبالتحديد عندما يقف عند قوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ))، (الروم/٢٢) ويرى الرازي أنّ المقصود بقوله تعالى: ((وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ)) (اختلاف كلامهم فإنّ عربيين هما أخوان إذا تكلما بلغة واحدة يُعرف أحدهما من الآخر حتى أنّ من يكون محجوبا عنهما لا يبصرهما يقول هذا صوت فلان وهذا صوت فلان الآخر وفيه حكمة بالغة، وذلك لأنّ الإنسان يحتاج الى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق... ومن الناس من قال المراد اختلاف اللغة كالعربية والفارسية والرومية وغيرها والأول أصحّ)[٢٨].

وواضح من النص السابق أنّ الرازي يضعّف التفسير المشهور لقوله تعالى: ((وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ))، وهو أنّ المراد اختلاف اللغات كالعربية والفارسية والسريانية... ويرجح ان يكون المراد

اختلاف الأصوات عند المتكلمين، والى هذا المعنى ذهب بعض المفسرين المعاصرين، وأشار الى أنّه يمكن ان يستفاد من قوله تعالى: ((وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ))، اختلاف الألسنة من جهة الأصوات والنغم والنطق، (فالباحثون عن العالم الكبير يعثرون في نظام الخلقة على آيات دقيقة دالة على أنّ الصنع والإيجاد مع النظام الجاري فيه لا يقوم إلا بالله ولا ينتهي إلا إليه)[٢٩]. وزيادة على ذلك أننا نجد في اللسانيات الصوتية المعاصرة ما يؤيد وجهة النظر هذه، وبخاصة ما يعرف في الصوتيات بـ(pitch) أو درجة الصوت، أي غلظة الصوت أو رقته، ويتوقف مقياس الغلظة والرقة على عدد الذبذبات في الثانية، (فالصوت الغليظ ذو ذبذبات أقل والصوت الرقيق ذو ذبذبات كثيرة، ويرتبط عدد الذبذبات بمصدر الذبذبة نفسه، فالوتر الغليظ ينتج صوتا غليظا والعكس صحيح، كما يتوقف عدد الذبذبات أيضاً على طول المصدر، فالوتر الطويل ينتج صوتا غليظا والعكس صحيح...)[٣٠]، وبهذا يكون اختلاف الصوت على مستوى الأفراد من قبيل اختلاف الملامح وبصمة الابهام وما اليها التي تميز الإنسان، ومحال أن تكون هذه الحكمة البالغة من صنع الطبيعة أو الصدفة، تماما مثل ما عبر القرآن الكريم في نهاية هذه الآية: ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ))، أي فيها دلائل واضحة على وجود المقدر والمدير[٣١]. وتجدر الإشارة الى أنّ الاستعمال المعجمي لهذه اللفظة ((لسان)) لا يرجح معنى على الآخر، بل يذكر ما يؤيد استعمال المعنيين، جاء في لسان العرب: (واللسان: اللغة، مؤنث لا غير، واللِسُن، بكسر اللام: اللغة...)[٣٢]، وفي موضع آخر قال: (اللسان: جارحة الكلام وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث.. واللسان: المِقوَلُ، يذكر ويؤنث والجمع ألسِنة...)[٣٣]. والله تعالى أعلم بمراده.

المحور الثاني: نشأة اللغة:

إنّ البحث في نشأة اللغة من القضايا التي أطال الباحثون الوقوف عندها، ولم يقتصر البحث فيها على تفكير اللغويين بل شاركهم فيه الفلاسفة والمتكلمون والمفسرون، ويبدو أنّ غايتهم هو الكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها الأصوات اللغوية، إلا إنّ ما توصلوا إليه لم يتجاوز الفرض والإحتمال. ويجدر بنا أنّ نشير إلى أن الجو الفكري الذي نشأ في أحضانه هذا

البحث في التراث العربي كان عقائديا قبل كل شيء، ونعني به ذلك الجدل في مسألة (خلق القرآن)، وما تبعه من خلاف في قدم القرآن أو حدوثه، فالخلاف بين قدم الكلام الإلهي – قول الأشاعرة– وبين حدوثه – قول المعتزلة– أدى إلى الإختلاف في أصل المواضعة في اللغة، فالأشاعرة قالوا بالتوقيف الإلهي، وذهب المعتزلة إلى القول بنظرية التواضع والإصطلاح[٣٤].

ويُلحظ هنا أنّ فخر الدين الرازي قد بسط الأقوال في هذه المسألة، وأول ما بدأ به هو رفض القول بالدلالة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها، يقول: (دلالة الألفاظ على مدلولاتها ليست ذاتية حقيقية خلافا لعباد... إنّها تتغير باختلاف الأمكنة والأزمنة، والذاتيات لا تكون كذلك)[٣٥]. ولابُدّ من القول أنّ هذا الاتجاه–الاتجاه الطبيعي– يقول بوجود صلة طبيعية ذاتية بين الدال والمدلول، وهذه الصلة (كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها ثُم تطورت الألفاظ ولم يُعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا أو تفسير)[٣٦]، وينسب القول في الدلالة الطبيعية في التراث العربي إلى عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي (ت ٢٠٥هـ)، الذي كان يرى أنّ الألفاظ (تدل على المعاني بذواتها)[٣٧]، ولكن هذا القول واجه الرفض من جمهور الباحثين، فالمحققون – كما يقول السيوطي (ت ٩١١هـ)– (متوقفون في الكل إلا في مذهب عباد، ودليل فساده أنّ اللفظ لو دلّ بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات)[٣٨].

وعلى الرغم من أنّ الرازي رفض القول بالدلالة الطبيعية، لكنه عاد وأكد وجود هذه الصلة بين اللفظ ودلالته في بعض الألفاظ (مثل تسميتهم القطا بهذا الاسم؛ لأن هذا اللفظ يشبه صوته، وكذا القول في اللقلق، وأيضاً وضعوا لفظ (الخضم) لأكل الرطب...)[٣٩] وقد أدرك علماء اللغة المحدثون وجوه الشبه بين طائفة من أسماء الأصوات والصوت الذي تدل عليه، ومنهم (جسيرسن) الذي كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ودلالتها، ولكنه لم يطلق المسألة بل حددها في مجموعة من الألفاظ التي تُعد بمنزلة الصدى لأصوات الطبيعية أمثال الحفيف والخرير[٤٠].

وناقش الرازي القول الذي يرى أنّ الواضع للغة هو الله سبحانه وتعالى (نظرية التوقيف الإلهي)، أي إنّها تعود الى الإرادة الإلهية التي وضعت لكل مسمى اسما معينا، وإنّ البشر قد توارثوا لغتهم من اللغة التي أوحى بها الله عز وجل الى آدم عليه السلام، ويُنسب هذا القول الى الأشعري (ت ٣٣٠ هـ) الذي يرى أنّ الواضع هو الله تعالى، ووضعه متلقى لنا من جهة التوقيف الالهي[٤١] وهو أيضاً قول أحمد بن فارس (ت ٣٩٥)، الذي كان يأخذ بقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كُلَّهَا))، البقرة ٣٣، بأن علمه الأسماء كلها وهي (هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل..)[٤٢] وعلى الرغم من أنّ الرازي أشعري المذهب لكنه في هذه المسألة لم يستقر على ما ذهبت إليه الأشاعرة من أن اللغة نشأة بوحي من الله سبحانه وتعالى، ولهذا فهو يصرح: (لا يمكننا القطع بأنّ دلالة الألفاظ توقيفية...)[٤٣] ويمكن القول إنّ أصحاب هذه النظرية لا يملكون دليلا عقليا يُعتد به، فضلا عن ذلك فإنّ الأدلة النقلية التي احتجوا بها قابلة للتأويل والاحتمال، فالظاهر في قوله تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كُلَّهَا)) يقتضي أنّ ما علّمه من الأسماء، هو ما تقدمت المواضعة عليها وصارت بذلك من الأسماء، (لأنّ الاسم إنما يسمى بذلك متى تقدمت المواضعة فيه أو ما يجري مجراه؛ لأنّه يصير اسما بالقصد)[٤٤] والى هذا المعنى ذهب الرازي في تفسيره لهذه الآية، قال: (انّ قوله تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كُلَّهَا)) يقتضي إضافة التعليم الى الأسماء، وذلك يقتضي في تلك الأسماء إنّها كانت أسماء قبل ذلك التعليم، وإذا كانت كذلك كانت اللغات قبل ذلك التعليم) [٤٥].

وبعد أن ضعف مذهب القائلين بالتوقيف الإلهي في نشأة اللغة ناقش الرازي أصحاب التواضع والإصطلاح في نشأة اللغة، ومعنى ذلك تواضع مجموعة من الناس على وضع ألفاظ للدلالة على الأشياء، أو بقول آخر إنّ اللغة صناعة انسانية وظاهرة اجتماعية، ويبدو هذا الاتجاه أكثر الاتجاهات قبولا في التراث العربي القديم، فقد ذهب إليه القاضي عبد الجبار المعتزلي، (ت ٤١٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني[٤٦]، ومال إليه ابن جني (ت٣٩٢هـ) وعبر عن ذلك بقوله: (كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل

واحد منها سمة ولفظاً...)[٤٧]. ولكن الرازي يشكك في هذا القول أيضاً ويصرح بأنّه (لا يمكن القطع بأنها- أي اللغة- حصلت بالاصطلاح)[٤٨]، ثم ينتهي إلى القول: (لما ضعفت هذه الدلائل جوزنا أن تكون كل اللغات توقيفية، وأن تكون كلها اصطلاحية، وأن يكون بعضها توقيفياً وبعضها اصطلاحيا)[٤٩]. وهذا ما انتهى إليه البحث اللغوي المعاصر، أو على الأصح هو رأي الغالبية من علماء اللغة؛ وذلك لأنّ اللغات بدأت مع بداية وجود الإنسان، فهي متصلة (بنشأة الإنسان أو بنشأة المجتمع، وبالمخ الإنساني ونموه وبأطوار الحياة الاجتماعية التي مر بها الإنسان... إلى غير ذلك من أمور لا يزال ما نعرفه عنها من حقائق أو معلومات ضئيلا غاية الضآلة)[٥٠].

المبحث الثاني
الصفة الخطّية للكلام

المحور الأول: مفهوم الصفة الخطّية

من الأمور المعروفة أنّ أول مراتب الوجود الموضوعي بحسب ظواهر الأشياء إرتباط الحدث ببُعدي وجود المادة، وهما بُعد الزمان وبُعد المكان، وأنّ الزمن هو البُعد الثاني الذي يحدد للظواهر وجودها فتندرج في سياق المادة المقيدة [٥١]. فاللغة- إذن- لا تستطيع أن تتنصل عن الزمن بوصفه معيارا لوجود المادة، (فاللغة مواضعة على الدلالة، والمواضعة تواتر في الزمن) [٥٢]. وقبل الخوض في أقوال فخر الدين الرازي علينا أن نحدد مفهوم (الصفة الخطّية)، وهو من المصطلحات اللسانية المعاصرة، ويُعدّ العالم اللغوي (سوسير) مبتدعه من الناحية الإصطلاحية، ومفهوم (الخطّية) عند سوسير يعني أنّ الدال اللغوي ذو طبيعة سمعية، إذ إنّه يجري في الزمن وحده، ومن ثَّم له خصائص الزمن في شيئين:

الأول: إنّه يمثل امتداد.

الثاني: إنّه يمكن أن نقيس هذا الإمتداد من بُعد واحد هو الخط [٥٣].

وتقتصر هذه الخاصية (الصفة الخطّية) على الدال وحده، أي الصورة السمعية، ويختلف الدال السمعي عن الدال البصري في أنّ الدال البصري- كإشارات المرور مثلاً- (يوفر امكانية قيام مجموعات على عدة أبعاد في آن واحد، في حين أنّ الدال السمعي له بُعد واحد فقط وهو البُعد الزمني، وعناصر الدال السمعي تظهر على التعاقب فهي تؤلف سلسلة)[٥٤]، وبمعنى آخر أنَّ الركيزة المادية للدليل اللغوي هو الصوت، ولذا إنّه في أثناء عملية النطق يتسلسل الصوت مع الزمن في خط أفقي، وهذا الصفة – أي تسلسل الصوت – تجعل العلاقة اللغوية قابلة للتحليل والتقسيم الى أجزاء، وبطبيعة الحال فإنّ كل جزء فيها يتبع جزءاً آخر في تتابع خطي وزمني منظم[٥٥]. وهذا المبدأ – أي الصفة الخطية – يبدو للوهلة الأولى أنّه بسيط، ولكن دي سوسير يرى أنّه على الرغم من بساطته فإنّه اساسي وله نتائج لا تحصى[٥٦].

ولا بُد من الإشارة هنا الى أنّ قولنا: السلسلة الكلامية (chaine pariee)، أو التأليف في الكلام ما هو إلا تواتره في الحدوث، أي تواتر الأصوات بطريقة منتظمة، وفي حقيقة الأمر لا يوجد تأليف في الكلام، لأنّ الكلام عرض والتأليف لا يكون في الأعراض بل في الجواهر، ولا تُستعمل كلمة تأليف في الكلام إلا على سبيل الاتساع، (لأنّ من حق التأليف ان يحصل بين الموجودين، وفي الكلام لا يصحّ ذلك، لأنّ ثاني الحروف إذا وُجد بطل الأول، فلو أثبتنا البقاء فيهما لأدى الى كون الموجود مؤلفا بالمعدوم وهذا محال)[٥٧]. ويؤكد هذا المعنى دي سوسير حينما يتحدث عن التأليف في سلسلة الكلام المنطوق، وهو يرى أنّ المقصود بذلك أنّ تلك العناصر تنتظم الواحد تلو الآخر في سلسلة اللفظ، أي تسلسل الأصوات مع الزمن في خط أفقي وعلى التعاقب، (ويمكن ان نسمي هذه التوليفات التي تتخذ لها من الإمتداد حاملا سياقات، فالسياق إذن يتركب دائما من وحدتين متتاليتين)[٥٨].

إنّ ظاهرة اندراج الكلام في صلب الزمن تتمثل في خصوصية الصوت الملازم للحدث الكلامي، والصوت لا ينفك عن الزمن تصورا وانجازا[٥٩]، ومن هذا المنطلق نجد أنّ المفكرين العرب القدامى أكدوا أنّ اندراج حدث الكلام في صلب الزمن يجعله مطبوعاً بسمة الخطّية ، حتى أنّها صارت الخاصية المميزة له دون سائر الأنظمة التواصلية، فلا الكتابة ولا الرسم ولا الإشارات أو الحركات تتميز بسمة الخطّية ، وقد أشار القاضي عبد الجبار المعتزلي إلى أنّ من حق الكلام أن يترتب في الحدوث وإلا لم يكن مفيدا؛ (لإنّ قول القائل (قام زيد) متى لم تحدث حروفه على هذا الوجه لم يكن بأن يكون (زيدا) بأولى من أنّ يكون (ديزا) أو (يزدا)، ولا بأن يكون (قام) بأولى من أن يكون (ماق)؛ ولذلك قلنا: إنّ من حق الكلام أن يكون حروفا منظومة... وما وقع في حال واحدة لا يصحّ فيه)[٦٠]. وهذا يعني أنّ القاضي عبد الجبار لم يكتف بتوكيد الصفة الخطّية للكلام، بل حدد أسبابها، وهو يرى أنّ السبب في خطية الكلام هو شرط الإفادة، فالكلمات والعبارات لكي تكون واضحة ومفهومة يجب أن تتعاقب حروفها بالنطق، فخضوع الكلام إلى قيد الزمن (هو ضرورة مبدئية في وجوده نوعيا ووظيفا)[٦١]. والأكثر من ذلك أنّ القاضي عبد الجبار

المعتزلي سبق (سوسير) في مسألة التفريق بين دلالة الكلام السمعية وأنظمة الدلالة الأخرى التي لا تمتلك البُعد الزمني، (فسوسير) يرى أنّ الدوال الإكوستيكة ليس لها ما تتصرف فيه عدا خط الزمن بخلاف الدوال المرئية (مثل: الكتابة، الرسم، الإشارة...) التي قد (تمثل تشعبات متزامنة ذات أبعاد متعددة)[٦٢]، وهذا ما أكده القاضي عبد الجبار عندما قام بمقارنة الظاهرة اللسانية (الكلام) بالأنظمة التواصلية الأخرى، فالكتابة- مثلا- وهي من أدوات الإبلاغ العلامي لا تقتضي وجوبا سمة الخطّية عند انجازها الحدث الكلامي، في حين لا يستقيم للكلام وجوده الصحيح إلا بتعاقب أجزائه، يقول القاضي: (إنّ الكلام إنّما يفيد بأن يحدث بعضه في أثر بعض.. وليس يلزم على ذلك الكتابة والرسم والنقش؛ لأنّ كل ذلك لم يثبت أنّه يفيد لحدوثه على ضرب الترتيب... لأنّ الفائدة من الكتابة تقع بأنّ يراها الواحد منا مكتوبة جملة واحدة) [٦٣].

المحور الثاني: الصفة الخطّية عند الرازي:

وأما فخر الدين الرازي- الذي حظّي بالتأخر الزمني فأفاد من كتابات السابقين وبخاصة أقوال القاضي عبد الجبار المعتزلي وعبد القاهر الجرجاني والشريف المرتضى وغيرهم من الأصوليين والمتكلمين- فهو الآخر قد اهتدى إلى خطية الكلام، وأول ما يصادفنا في شأن الكلام عنده هو تحديده وبيانه لماهية الكلام، وعلى الرغم من أنّ الرازي قال في مبحث نشأة اللغة إنّه لا يمكن القطع بأنّ اللغة (حصلت بالاصطلاح)[٦٤]، لكنه في بيانه لماهية الكلام عاد وقرر: (إنه لا معنى للكلام اللساني إلا الاصطلاح من الناس على جعل هذه الأصوات المقطعة والحروف المركبة معرفات لما في الضمائر، ولو قدرنا أنّهم قد تواضعوا على جعل أشياء غيرها معرفات لما في الضمائر لكانت تلك الأشياء كلاما أيضاً، وإذا كان كذلك لم يكن الكلام صفة حقيقية مثل العلم والقدرة والإرادة، بل أمرا وضعياً اصطلاحياً...)[٦٥]. ونلحظ في هذا النص إشارة واضحة إلى أنّ الكلام اللساني هو كائن حسي مكون من الحروف المنظومة والأصوات المقطعة، وأنّ العلاقة بين اللفظ ومعناه، أو الدال والمدلول علاقة اعتباطية، ولو أنّ أهل اللغة تواضعوا على جعل أشياء غير هذه الأصوات لكانت تلك الأشياء كلاما أيضاً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الرازي لم يكتف بذكر اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، بل عمد إلى إقامة موازنة بين اللفظ المفرد واللفظ المركب، وهو في الوقت الذي يؤكد فيه اعتباطية الدلالة الأفرادية أثبت عقلانية الدلالة التركيبية، لأنّ اللفظ المفرد (لا يفيد البتة مسماه؛ لأنّه ما لم يُعلم كون تلك اللفظة موضوعة لذلك المعنى لم يفد شيئا... والإشكال المذكور في المفرد غير حاصل في المركب؛ لأنّ إفادة الألفاظ المفردة لمعانيها إفادة وضعية، أما التركيبات فعقلية، فلا جرم عند سماع تلك المفردات يعتبر العقل تركيباتها ثم يتوصل بتلك التركيبات العقلية إلى العلم بتلك المركبات)[٦٦] وهذا يعني أنّ المواضعة إشكال قائم على الابتداء، فاذا تحقق الإبتداء أرتفع إشكال المواضعة، لأنها تصبح هي نفسها مشرعة لوجودها ولغايتها، وهكذا يخرج الحدث الكلامي من الاعتباط الآني إلى التلازم العقلي، ويتطابق هذا التصور مع رأي اللساني المعاصر (كلود ليفي شتراوس) الذي يرى أنّ الرابط بين الدال والمدلول (اعتباطي قبليا وليس من بعد)[٦٧]، فبعد أن يتم التعاقد تفقد اللغة اعتباطيتها وتنحو منحى الترابط الضروري بين الدال والمدلول.

أما مسألة الصفة الخطّية للكلام أو خطية الكلام فإنّ فخر الدين الرازي أكدها في أكثر من موضع، وقد اهتدى إلى بعض المفاهيم في هذه المسألة، وأول ما يقرره هو (أنّ الكلمة لا تكون كلمة إلا إذا كانت حروفها متوالية) [٦٨]، وفكرة توالي الحروف تعني خطية الكلام في المصطلح المعاصر، وهي ليست جديدة، بل سبق وإن أشار إليها القاضي عبد الجبار المعتزلي الذي رأى أنّ من حق الكلام أن يترتب في الحدوث، وإلا لم يكن مفيدا[٦٩]، ولابُد لأجزاء الكلام أن تنتظم على سلك الزمن سابقا فلاحقا فتابعاً، وأشار إليها أيضاً الشريف المرتضى بقوله: (إنّ الكلام إذا وُجدت حروفه كلها معا ولم يكن لبعضها على بعض تقدم في الوجوه لم يكن مفيداً)[٧٠]. ولم يكتف الرازي بمفهوم التوالي بل أضاف إليه مفهوم (التعاقب)، أي إنّ الحروف يجب أن تتعاقب في الحدوث على مسار الزمن، ولا يجوز أن تأتي دفعة واحدة ذلك (أنّ الحروف التي منها تألفت الكلمة إن حصلت دفعة واحدة لم تحصل الكلمة؛ لأنّ الكلمة الثلاثية يمكن وقوعها

على التقاليب الستة، فلو حصلت الحروف معا لم يكن وقوعها على بعض تلك الوجوه أولى من وقوعها على سائرها...)[٧١].

ويؤكد الرازي هذا المعنى في موضع آخر، ويجعل بلوغ الكلام وظيفته الإخبارية – أي فائدة الكلام – مرهونة بطابع الخطّية فيه؛ (لأنّ هذه الكلمات المسموعة المفهومة إنّما تكون مفهومة إذا كانت حروفها متوالية، فإما إذا كانت حروفها توجد دفعة واحدة فذلك لا يكون مفيدا)[٧٢]. وهذا يعني أنّ اندراج الكلام في صلب الزمن مرتهن بتحقيق ظاهرتي التوالي والتعاقب فيه، فالتطابق متعذر؛ لأنّه لا يمكن للحروف أن تأتي على دفعة واحدة، ثم أنّ التباعد يفضي إلى نقض طبيعة الكلام؛ لأنّ سلسلة الكلام– كما يقول الرازي– (إنما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية، فكل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه)[٧٣].

إنّ فكرة توالي الحروف وتعاقبها تقود الرازي إلى خاصية أخرى من خواص الكلام، أو على الأصح هي إحدى افرازات الصفة الخطّية للكلام، ونعني بها أنّ الصوت شيء يكتسب وجوده في لحظة النطق به، وهذا يعني أنّ الكلام ذو سمة غازية (يستحيل في حقّه البقاء فيتعذر أن يُدرك خارج حدود الوقت الواحد) [٧٤]. وتتضح عند الرازي هذه الفكرة– أي إنّ الكلام عرض مدرك لا يبقى– في قوله: (إنّ هذه الأصوات كما توجد تفنى عقيبه في الحال، فعند الإحتياج إليه تحصل، وعند زوال الحاجة تفنى وتنقضي) [٧٥]، وفي موضع آخر يؤكد هذا المعنى: (الاسم أصوات مقطعة وضعت لتعريف المسميات، وتلك الأصوات أعراض غير باقية، والمسمى قد يكون باقياً، بل يكون واجب الوجود لذاته)[٧٦]. وهذه الخصوصية للكلام تعني أنّ الكلام بقدر ما يتحتم اندراجه في الزمن فإنه يتعذر عليه الثبات في الزمن، ومن هنا يستحيل أن يوجد الكلام فعلياً من حيث هو كل متكامل[٧٧]. وقد سبق إلى هذا المعنى القاضي عبد الجبار المعتزلي[٧٨] والشريف المرتضى[٧٩]، واكدها الدرس اللساني المعاصر كما يتضح في قول دي سوسير في شأن الصفة الخطّية للكلام: (إنّها صفة ينتفي معها امكانية النطق بعنصرين معا في الوقت نفسه)[٨٠].

والجدير بالذكر أنّ مقالة الرازي السابقة: (وتلك الأصوات أعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا)، تعني أنّ سمة الغازية أو الانقطاع محصورة في عنصر الدال ولا تشمل المدلول والمرجع، إذ لا يمتنع أنّ المسميات قائمة وتبقى صورها المجردة في الذهن، ومعلوم أن الدال يحيل على مدلول هو صورته الذهنية، وذلك المدلول يحيل على المرجع الذي هو الشيء الحقيقي في عالم الوجود.

ولا بُدّ من الإشارة الى أنّ الرازي في محاولته لبحث مشكلة الألفاظ والدلالات قد أشار الى فكرة المثلث الدلالي الشهيرة في اللسانيات المعاصرة التي ظهرت في كتاب the meaning of meaning أو معنى المعنى لمؤلفيه أوجدن ogden وريتشاردز Richard، وحاولا فيه دراسة الصلة بين الأفكار والكلمات والأشياء وذلك من خلال المثلث الذي يربط بين الألفاظ والأشياء والمعنى والمفهوم(٨١).

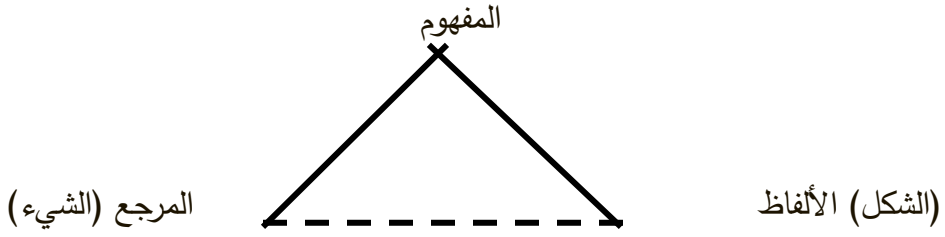

وكما هو واضح ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات الأشياء لذا جعل أصحابه العلاقة بينهما بخط منقوط، فالخط المتقطع يشير الى أنّ الألفاظ ترتبط بالأشياء عن طريق المفهوم المرتبط بكليهما بصورة مباشرة(٨٢). ونجد عند الرازي هذا المعنى بعينه، يقول الرازي: (للألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان، ولهذا السبب يقال: الألفاظ تدل على المعاني، لأنّ المعاني هي التي عناها العاني، وهي أمور ذهنية...) (٨٣). ويعزز الرازي هذه المقولة بدليل حسّي هو أننا إذا رأينا جسما وظنناه صخرة قلنا: إنّه صخرة، فإذا ازداد قربنا منه وعلمنا إنّه انسان، قلنا إنّه إنسان(٨٤).

فاختلاف الأسماء عند اختلاف التصورات الذهنية يعني (أنّ مدلول الألفاظ هو الصور الذهنية لا الاعيان الخارجية)[٨٥]. وفي هذا إشارة واضحة الى ان الألفاظ لا ترتبط بالأشياء ارتباطاً مباشراً مثلما قال أوجدن وريتشاردز.

وهذه الخصوصية للكلام- أي الصفة الخطّية- تقود الرازي الى القول بأفضلية الظاهرة اللسانية كنظام علامي، وذلك بمقارنتها بالأنظمة العلامية الأخرى مثل الكتابة أو الإشارة او التصفيق، وسبق ان أشرنا الى قول الرازي في أنّ الإنسان خُلق بحيث لا يستطيع القيام بجميع الأمور التي يحتاج اليها في حياته فاحتاج الى أن يُعرّف غيره ما في ضميره (ليمكنه التوسل به الى الاستعانة بالغير، ولابُد لذلك التعريف من طريق، والطرق كثيرة مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد والحركة بسائر الأعضاء، إلا إنّ أسهلها وأحسنها هو تعريف ما في القلوب والضمائر بهذه الألفاظ)[٨٦]. ويعلل الرازي أفضلية الكلام والظاهرة اللسانية على غيرها من أنظمة التواصل بقوله: (إنّ هذه الأصوات كما توجد تفنى عقيبه في الحال، فعند الاحتياج اليه تحصل وعند زوال الحاجة تفنى وتنقضي)[٨٧]، أي بسبب السمة الغازية للأصوات (كما توجد تفنى عقيبه في الحال)، وهذه السمة من إفرازات الصفة الخطّية للكلام، فاندراج الكلام على مسار الزمن هو الذي يعطيه الخصوصية القصوى التي بها يتميز من الأنظمة العلامية الأخرى، فإذا قارنا بين الكلام بصفته نظاما تواصليا وبين الكتابة أو الرسوم أو النقوش، وهي الأخرى تُعد من الأنظمة التواصل العلامي نجد انّ جميعها لا تقتضي سمة الخطيّة (بينما لا يستقيم للكلام وجوده الصحيح إلا بتعاقب محدد مخصوص يجعل لا جزائه إنتظاما إلزاميا بدونه تنقطع الوظيفة الدلالية المقصودة)[٨٨].

وينطلق الرازي من مبدأ إنصهار الحدث اللغوي في عامل الزمن، أو بمعنى آخر من خاصية الصفة الخطّية للكلام الى خاصية جوهرية من خواص الظاهرة اللغوية التي تمنحها الأفضلية بصفتها نظاما علامياً وذلك بمقارنتها بالأنظمة العلامية الأخرى وهي خاصية التولد والإنتشار والقدرة على استيعاب جميع المعاني والدلالات وتوليد ألفاظ غير متناهية، وفي هذا

يقول الرازي: (إنّ الأصوات بحسب التقطيعات الكثيرة في مخارج الحروف تتولد منها الحروف الكثيرة، وتلك الحروف الكثيرة بحسب تركيباتها الكثيرة يتولد منها كلمات تكاد ان تصير غير متناهية... ومثل هذا لا يوجد في الإشارة والتصفيق)[٨٩]. ولغرض توضيح هذه الفكرة نأخذ مثلا كلمة: (حمد)، وهي تتكون من وحدات متتالية هي: (ح+م+د)، وواضح أنّ صوت الحاء يسبق زمنيا صوت الميم، وكذلك صوت الميم يسبق الدال، وفي حالة تغيير التسلسل الزمني الخطي في هذه الأصوات وجعل صوت الميم أولا وبعده صوت الدال ثُم الحاء: (م+د+ح)، نحصل على كلمة (مدح) وهي تختلف من حيث الدلالة عن كلمة (حمد)، وهكذا فأنّ تغيير التسلسل الزمني الخطي يمنحنا دلالات جديدة[٩٠]. وقد سبق الى هذا المعنى القاضي عبد الجبار المعتزلي وأكد أولوية الكلام على غيره من أنظمة التواصل الأخرى، (وإنّما إختار أهل المواضعة الكلام في ذلك دون غيره لأنّه أوسع باباً من غيره فيُشعّب بمقدار ما يُحتاج اليه من الأسماء للمسميات وذلك يتعذر فيما عداه من الأفعال)[٩١]، وهذا ما انتهت اليه الدراسات اللسانية المعاصرة، ذلك أنّ خاصية التوليد والانتشار يتفرد بها الحدث اللساني؛ لأنّ (علة وجوده قائمة في ذاته، لأنّها منضوية في ما تحمله مظانّه من أنماط المواضعة وشرائطها)[٩٢]. وذهب بعض اللسانين المعاصرين الى أنّ اللغة لابُدّ أنّ تكون أنموذجاً لكل الأنظمة التوصيلية الأخرى، وذلك راجع الى أنّ (المعنى من نتاج اللغة، فلا يمكن للعلامية إلا أن تلجأ الى اللغة للوقوف على دلالة الأشياء)[٩٣]، ويؤكد بنفست الفكرة نفسها وهي أهمية اللغة بالنسبة للأنظمة العلامية الأخرى بوصفها (النموذج العلامي الأعلى... التي تستقي منها هذه الأنظمة سماتها ونوعيتها)[٩٤].

ويتخذ دي سوسير من اعتباطية الدلالة مقياسا لبيان أفضلية الكلام على أنظمة التواصل الأخرى، أو بمعنى آخر فهو يؤكد التناسب الطردي بين اعتباطية أي نظام علامي وسعته الابلاغية[٩٥]، وقد أشار الى ذلك بقوله: (إنّ الدلائل المتصفة بالاعتباطية التامة تؤدي أحسن من غيرها العملية الدلائلية في أمثل صور لها، ولذلك كانت اللغة وهي أكثر أنظمة التعبير تعقيدا وأوسعها انتشارا هي أشدها تمثيلا للخصائص الدلائلية)[٩٦]. وقد أطلق دي سوسير لفظ (الإشارة

اللغوية) على عملية الربط بين الفكرة والصورة الصوتية، فالإشارة اللغوية هي الوحدة اللغوية التي تنتج عن إتحاد الدال بالمدلول[٩٧]، والسمة الجوهرية التي تمتاز بها الإشارة سمة الاعتباطية، وهنا لابُدّ من القول إنّ مفهوم دي سوسير عن الطبيعة الاعتباطية للإشارة قد حظّي بتقدير كبير، ومعلوم أنّ الصفة الاعتباطية قديمة قدم التأمل في اللغة، ولكن الجديد في طرح سوسير هو حكمه في تعريف الإشارة بأنها علاقة بين كيانين، وتصوره أنّ المادة اللغوية كيان ذو وجهين تتألف فيه العلاقة بين الدال والمدلول وهذا أكثر أهمية من وصفه للإشارة بأنها اعتباطية[٩٨] وعلى الرغم من أنّ رائد اللسانيات الحديثة (دي سوسير)، يرى أفضلية الكلام على أنظمة التواصل الأخرى لكنه وفي إطار الموازنة بين الكتابة واللغة لم يشر الى فرق كبير، وهو يرى أنّ الكتابة ما هي إلا تمثيل لخطيّة الحدث اللساني المنطوق، فالإشارات المستخدمة في الكتابة هي الأخرى اعتباطية (إذ لا توجد صلة ببن الحرف على سبيل المثال والصوت الذي يعبر عنه هذا الحرف)[٩٩]، والفرق الوحيد بين اللغة والكتابة هو أنّ اللغة تمثل امتدادا عبر الزمن في حين أنّ الكتابة تمثل امتدادا عبر المكان [١٠٠].

وتجدر الإشارة الى أنّ الاتجاه الذي يقول باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول أو الاسم بالمسمى هو أكثر الاتجاهات قبولا في التراث العربي، فقد أخذ جمهور الباحثين بمفهوم اعتباطية الدلالة[١٠١]، وأكدها الرازي في أكثر من موضع[١٠٢]، وقد أورد عبد القاهر الجرجاني في هذا المجال عبارة دقيقة يؤكد فيها اعتباطية الألفاظ وقيمتها العرفية الاجتماعية عندما قال: (فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال (ريض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد)[١٠٣]. وإذا كان هذا الاتجاه أكثر الاتجاهات قبولا في التراث العربي فقد أصبح مفهوم الاعتباطية أحد الركائز الرئيسة في الفكر اللساني المعاصر، فليس في الدال ما ينبئ عن المدلول، وهذا هو سبب تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة، ولو كانت معاني الكلمات كامنة في أصواتها لما أمكن ان تتغير هذه الكلمات في لفظها ومدلولها تغييرا يستحيل ربطه بالوضع الأصلي لها[١٠٤]، فالدال يكون مفيدا بالمواضعة (convention) التي تمثل عقدا(ontrat) بين أفراد المجموعة اللغوية،

وهو عقد اجتماعي يقصد به التواضع الضمني على أنماط اللغة في دلالات الألفاظ، ويقوم هذا العقد على القصد الذي يمثل الإرادة الواعية في ربط الدوال بمدلولتها في اللغة(١٠٥).

خاتمة البحث ونتائجه:

في ضوء ما تقدم يمكن أن نشير إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- أكد البحث أنّ المفكرين العرب القدماء من اللغويين أو الأصوليين أو المتكلمين انتبهوا على علاقة الإنسان باللغة، وذهبوا إلى أنّها علاقة قائمة على الطبع والإقتضاء، ومعنى ذلك أنّ الإنسان في كينونته الجوهرية موجود متكلم، ولا يكاد يخلو تعريف للإنسان من قصر سمة التمييز الإنساني على ظاهرة الكلام، ولا يكاد الرازي يخرج عن هذا القول، فهو يرى أنّ السمة الأساسية التي تمييز الإنسان عما سواه هو قدرته على تعريف الغير بالأمور التي تجول في خاطره بالنطق والخطاب.
- أثبت البحث تاكيد الرازي أنّ الوظيفة التواصلية هي أهم وأبرز الوظائف اللغوية، فاللغة في استعمالها اليومي أداة يتوسل بها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد مجتمعه، وهذا ما انتهت إليه الدراسات اللسانية المعاصرة.
- أثبت البحث أنّ الرازي انتبه على الفرق بين علاقة العقل باللغة وعلاقته بالأشياء الأخرى، وهو يرى أنّ العقل عاجز عن أن يهتدي بذاته إلى اقتران الدلالة اللغوية بمدلولاتها، أما العلم بحقائق الأشياء الأخرى فالعقل متمكن منها.
- في مسألة نشأة اللغة أثبت البحث أنّ الرازي انتهى به البحث إلى تجويز أن تكون كل اللغات توقيفية أو أن تكون كلها اصطلاحية أو تكون بعضها اصطلاحية وبعضها توقيفية، وهذا ما انتهى إليه البحث اللساني المعاصر، وذلك لأنّ اللغات بدأت مع بداية الوجود الإنساني، ومعلومتنا عن نشأة الإنسان لا زالت في غاية الضآلة.
- أثبت البحث أنّ الرازي أكد ما نصطلح عليه اليوم ب(الصفة الخطّية للكلام) بتعبير اللسانيات المعاصرة، أي أنّ الدال ذو طبيعة سمعية وأنّه يجري في الزمن وحده، ويرى الرازي أنّ السبب في خطيّة الكلام وهو شرط الإفادة.

- أثبت البحث أنّ الرازي قد اهتدى إلى بعض المفاهيم الجديدة في مسألة الصفة الخطّية للكلام، وبخاصة ما أطلق عليه بـ(التوالي والتعاقب)، وفكرة توالي الحروف تعني خطية الكلام في المصطلح المعاصر، أي لابُدّ لأجزاء الكلام أن تنتظم على سلك الزمن سابقا فلاحقا فتابعاً. أما فكرة تعاقب الحروف فتعني أنّ الحروف يجب أن تتعاقب في الحدوث على مسار الزمن ولا يجوز أن تأتي على دفعة واحدة، فالتباعد بين الحروف يفضي إلى نقض طبيعة الكلام، والتطابق متعذر.
- أثبت البحث أنّ الرازي يرى أنّ الصوت شيء يكتسب وجوده في لحظة النطق به، وهذا يعني أن الكلام ذو سمة غازية يستحيل في حقه البقاء ولا يُدرك خارج الوقت المحدد. أي إنّ الكلام بقدر ما يتحتم اندراجه في الزمن فإنه يتعذر عليه الثبات في الزمن.
- أثبت البحث أنّ الرازي أكد افضلية اللغة (الكلام)على بقية وسائل التواصل، ويعلل هذه الأفضلية بخاصية الحدث اللساني في التولد والانتشار الى حد الاستيعاب الشامل لجميع المعاني والدلالات، وهذا ما انتهت اليه الدراسات اللسانية المعاصرة.
- أثبت البحث أنّ الرازي في محاولته لبحث مشكلة الألفاظ والدلالات قد أشار وبكل وضوح الى فكرة المثلث الدلالي الشهيرة في اللسانيات المعاصرة والتي ترى أنّه ليس هناك علاقة مباشرة بين الألفاظ والأشياء، وأنّ الأشياء ترتبط بالألفاظ عن طريق المفهوم المرتبط بكليهما ارتباطاً مباشراً.
- أثبت البحث أنّ الرازي قد تنبه على الاختلاف في مستويات الصوت عند المتكلمين، وذلك في أثناء بحثه التحليلي للنص القرآني، وأنّ اختلاف الصوت على مستوى الأفراد من قبيل اختلاف الملامح وبصمه الابهام، وهذه واحدة من اللفتات المهمة للرازي أكدها الدرس الصوتي في اللسانيات المعاصرة.

الهوامش

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي الشافعي، متكلم وفقيه وأصولي، ومفسر؛ ومتطبب، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، قال عنه ابن خلكان بأنه (فريد عصره، ونسيج وحده)، وأما لقبه ب(الرازي) فهو نسبة إلى مدينة (الري)، وهي نسبة على خلاف القياس، وقد ألحقوا الزاي في النسبة كما ألحقوها في (المروزي) نسبة إلى (مرو). تلقى الرازي علومه الأولية على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وبعد وفاة أبيه قصد الكمال السمعاني وبقي معه مدة، ثم عاد إلى الري واشتغل بالعلوم الحكمية، فقرأ الحكمة على مجد الدين الجبلي، وكان هذا من أعلام زمانه، وبعد أن تمهر في العلوم قصد خوارزم، وجرى بينه وبين أهلها كلام في المذهب والإعتقاد، فأخرج من البلدة، وقصد بعد ذلك ما وراء النهر وجرى له أيضاً هاك ما جرى له في خوارزم، فعاد إلى الري. وإتصل بعد ذلك بالسلطان محمد بن تكش المعروف بعلاء الدين خوارزم شاه، وحظي عنده بأسمى المراتب، ولم يبلغ أحد منزلته عنده. وقد حفلت حياة الرازي بكثرة الأسفار، وكانت له مناظرات ومناقشات عنيفة مع مختلف المذاهب، ثم استقر به المطاف في مدينة (هراه)، وهي من مدن خرسان الكبيرة، وتوفي فيها سنة (٦٠٦هـ). وقد ترك الرازي مؤلفات كثيرة في التفسير وعلم الكلام والفقه والأصول، والفلسفة والمنطق والأخلاق، والرياضيات والهندسة والطب، وأهم كتبه: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ونهاية الايجاز في دراية الإعجاز، والمحصول في علم الأصول، والأربعين في أصول الدين، وكتاب المطالب العالية في الحكمة، وكتاب نهاية العقول وغيرها... يُنظر ترجمته: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/ ٣٨١، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/ ٢٥، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ٤/ ٢٤٨، واللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير ١/ ٤٥٠، وفخر الدين الرازي بلا غيا، ماهر مهدي رشيد، ٣٧.

(٢) يُنظر: اللغة والمعنى، أسارى فلاح حسن، ص ٨٦.

(٣) يُنظر: علم اللغة، د. محمود السعران، ص ٥٦– ٥٧.

(٤) يُنظر: اللغة والمعنى، أسارى فلاح حسن، ص ٦٦.

(٥) يُنظر: تأملات في فلسفة اللغة، د. عمر ظاهر، ص ٨٦– ٨٧.

(٦) اللغة، فندريس، ص ٣٥، ويُنظر: مناهج البحث اللغوي، د. نعمة العزاوي، ص٤٨.

(٧) يُنظر: تأملات في فلسفة اللغة، د. عمر ظاهر، ص ٩٩.

(٨) يُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، ص٦٣.

(٩) نهاية الاقدام في علم الكلام، محمد الشهرستاني، ص ٣٢٥، ويُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية،، د. عبد السلام المهدي، ص ٧٢.

(١٠) أسرار البلاغة، ص ١.

(١١) يُنظر: أسرار البلاغة، ص ٣٢٧، ودلائل الاعجاز، ص ٣٥٢، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٣١٣.

(١٢) يُنظر: اللغة والمعنى، أسارى فلاح حسن، ص٨٥.

(١٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٢.

(١٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٦٤.

(١٥) يُنظر: المصدر نفسه ص ١٨، ٦٣.

(١٦) يُنظر: الدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار المغتزلي، حيدر جواد الانباري، ص ٥٨.

(١٧) يُنظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ٢٦ / ص ١٦٤.

(١٨) نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ٣١٩، ويُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ١٥٤.

(١٩) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ ص ٣٣.

(٢٠) يُنظر: علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص ١٨، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس، ص ٨٤.

(٢١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٣.

(٢٢) المصدر نفسة، ٢ / ١٩، ويُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ١٢٧.

(٢٣) الاتجاه العقلي في التفسير، د. نصر حامد أبو زيد، ص ٨٧ – ٨٨، ويُنظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ١ / ص ٢٥٤.

(٢٤) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ٢١ / ص٤١، ويُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٣٤٩.

(٢٥) المغني في ابواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار المعتزلي، ١٥/ ص ٦١.

(٢٦) يُنظر: الاتجاه العقلي في التفسير، ص ٢٨٤ – ٢٨٥.

(٢٧) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، ص ٥٩، ويُنظر: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، د. كريم زكي حسام الدين، ص ١١٦.

(٢٨) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ٢٥ / ص ٩٨.

(٢٩) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطاطبائي، ١٦ / ص ١٧٢، ويُنظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٦ / ص ١٣٧.

(٣٠) أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص ١٠٦.

(٣١) يُنظر: التفسير الكاشف، ٦ / ص ١٣٧.

(٣٢) لسان العرب، ابن منظور، ١٣ / ص ١٩٧.

(٣٣) المصدر نفسه، ١٣ / ١٩٧.

(٣٤) يُنظر على سبيل المثال: الصاحبي، أحمد بن فارس، ص ١٦ –١٧، والمغني في ابواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ٥، ص ١٦٦– ١٦٩.

(٣٥) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٠.

(٣٦) دلالة الألفاظ، د. ابراهيم أنيس، ص ٦١.

(٣٧) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ١/ ص ١٦، ويُنظر: ارشاد الفحول، الشوكاني، ص١٢.

(٣٨) المزهر في علم اللغة، ١ / ص ١٦.

(٣٩) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١/ ص ٣٠.

(٤٠) يُنظر دلالة الألفاظ، د. أبراهيم أنيس، ص ٦٩.

(٤١) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ١ / ص ٦٧.

(٤٢) الصاحبي، أحمد بن فارس، ص ١٦.

(٤٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٠.

(٤٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل، ص / ص ١٦٩.

(٤٥) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ٢ / ص ١٦١.

(٤٦) يُنظر المغني في أبواب التوحيد والعدل، ٥ / ص ١٦٠، ودلائل الاعجاز، ص ٤٩.

(٤٧) الخصائص، ١ / ص ٤٤.

(٤٨) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٠.

(٤٩) المصدر نفسه، ١ / ص ٣٠.

(٥٠) علم اللغة، د. محمود السعران، ص ٥٣.

(٥١) يُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٢٩٨.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٥٣) دروس في الالسنية العامة، فرديناند سويسر، ص ١١٤.

(٥٤) علم اللغة العام، ص ٨٩.

(٥٥) يُنظر: الدلالة اللغوية: اعتباطيتها وقيمتها عند دي سوير، رشيد الأركو، ص ١، والدليل اللساني عند دي سويسر، أ. يونس ادشيشن، ص ٣.

(٥٦) يُنظر: علم اللغة العام، ص ٨٩.

(٥٧) المغني في أبواب التوحيد والعدل، ١٦ / ص ٢٢٧، ويُنظر: الدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار، ص ٩٥.

(٥٨) دروس في الالسنية العامة، ص ١٨٦، ويُنظر: الدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار، ص ٩٦.

(٥٩) يُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص٢٩٩.

(٦٠) المغني في أبواب التوحيد والعدل، ٧ / ص ٨٥ ويُنظر: الموضح عن جهة اعجاز القرآن، الشريف المرتضى، ص ١٣٠.

(٦١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٢٩٨.

(٦٢) دروس في الالسنية العامة، ص١١٤.

(٦٣) المغني في ابواب التوحيد والعدل، ٧ /ص ٦٠٥.

(٦٤) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ١ / ص ٣٠.

(٦٥) المصدر نفسه، ١ / ص ٣٣.

(٦٦) المصدر نفسه، ١ / ص ٣١.

(٦٧) مبادئ في علم الأدلة، روان بارت، ص ٨٢.

(٦٨) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٦.

(٦٩) يُنظر: المغني في ابواب التوحيد والعدل، ٧ / ص ٨٥، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٣١٢.

(٧٠) الموضح عن جهة اعجاز القرآن ص ١٣٠

(٧١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٦.

(٧٢) المصدر نفسه، ١٤ / ص ٢٢٨.

(٧٣) المصدر نفسه، ١ / ص ٢٨.

(٧٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٣٢٣.

(٧٥) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١ / ص ٣٢.

(٧٦) المصدر نفسه، ١ / ص ٩٦.

(٧٧) يُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٢١٤.

(٧٨) يُنظر: المغني في ابواب التوحيد والعدل، ٧ / ص ٦٠٥.

(٧٩) يُنظر: رسائل الشريف المرتضى، ١ / ص ١٥٢، جوابات المسائل الطبرية.

(٨٠) دروس في الالسنية العامة، ص١٨٦، ويُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٣٢٣.

(٨١) يُنظر: دلالة الألفاظ، د.ابراهيم انيس، ص٨، ومنهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصر، د.علي زوين، ص ٨٥.

(٨٢) يُنظر: علم الدلالة السلوكي، جون لاينز، ص١٧، وعلم الدلالة، بالمر، ص٣١.

(٨٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١/ص٣١.

(٨٤) يُنظر: المصدر نفسه، ١/ ص٣١.

(٨٥) المصدر نفسه، ١/ ص٣١.

(٨٦) المصدر نفسه، ١/ ص٣٢.

(٨٧) المصدر نفسه،١/ص٣٢.

(٨٨) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص٣٢١.

(٨٩) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)،١/ص٣٢.

(٩٠) يُنظر: الدلالة اللغوية: اعتباطيتها وقيمتها عند دي سوسير، رشيد الاركو، ص٣.

(٩١) المغني في ابواب التوحيد والعدل،٢/ص١٦٢، ويُنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية.

(٩٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص٢٩٨.

(٩٣) دروس في السيمائيات، د.مبارك حنون، ص٧٥.

(٩٤) مدخل الى السيموطيقيا، ٢/ص٤٢، ويُنظر: الدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار المعتزلي، ص١٠٦.

(٩٥) يُنظر: الدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار، ص١٠٦.

(٩٦) دروس في الألسنية العامة، ص١١٢.

(٩٧) يُنظر: الالسنية (علم اللغة الحديث) مبادئ واعلام، ميشال زكريا،ص١٨١-١٨٥.

(٩٨) يُنظر: علم اللغة العام، ص١٣٢، وفردينان دي سوسير، جوليو ليشي، ص ٦٤ بحث ضمن كتاب: (اللغة علما) مقالات في علم اللغة الحديث.

(٩٩) علم اللغة العام، ص ١٣٨.

(١٠٠) يُنظر: دروس في الالسنية العامة، ص١١٤-١١٥، والدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار، ص١١١.

(١٠١) يُنظر: الذريعة الى اصول الشريعة، الشريف المرتضى، ١/ص١٢، والمغني في ابواب التوحيد والعدل، ٥/ص١٦، والمزهر في علوم اللغة العربية، السيوطي، ١٦/١، وارشاد الفحول، الشوكاني، ص١٢.

(١٠٢) يُنظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ٣٣/١.

(١٠٣) دلائل الاعجاز،ص٤٩.

(١٠٤) يُنظر: دور الكلمة في اللغة، اولمان،ص٧٣.

(١٠٥) يُنظر: اللسانيات العربية والاصطلاح اللغوية، د.عبد السلام المسدي، ص١٢-١٣.

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم

١. الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة): د. نصر حامد أبو زيد، الطبعة الثانية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ م.

٢. الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد (ت ٦٣١هـ)، ضبطه: الشيخ ابراهيم العجوز، الطبعة الخامسة، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٥ م.

٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من الأصول: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (ت١٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

٤. اسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، نشرة محمد رشيد رضا، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٠٩م.

٥. أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: د. كريم زكي حسام الدين، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠٠١ م.

٦. الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام د. ميشال زكريا، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.

٧. البداية والنهاية: ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

٨. تأملات في فلسفة اللغة: د. عمر ظاهر، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٩. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠. التفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب): الرازي، فخر الدين محمد بن الحسين بن علي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، بيروت، ٢٠١٣م.

١١. التفكير اللساني في الحضارة العربية: د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٢. الخصائص: ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٧م.

١٣. الدرس اللساني عند القاضي عبد الجبار المعتزلي: حيدر جواد الأنباري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧م.

١٤. دروس في الألسنية العامة: فردينان دي سوسير، تعريب: صالح القرماوي ومحمد الشاوس ومحمد عجينة، دار الكتاب العربي، ليبيا– تونس، ١٩٨٥م.

١٥. دروس في السيميائيات: د. مبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء١٩٨٧م

١٦. دلالة الألفاظ: د. ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

١٧. الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى/ دراسة لغوية: د. حامد كاظم عباس، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤م.

١٨. دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٩. دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له: د. كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٠. الذريعة الى أصول الشريعة: الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن حسين (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق: د. ابو القاسم كرجي. مطبعة عقد دان شكاه، طهران، ١٣٤٨هـ.

٢١. رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، ابو القاسم علي بن الحسين، تقديم واشراف: احمد الحسيني، منشورات مؤسس النور للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٢. الصاحبي في فقه اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: الشيخ أحمد صقر، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٥م.

٢٣. علم الدلالة السلوكي: لانيز، ترجمة: ترجمة: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦ م.

٢٤. علم الدلالة العربي/ النظرية والتطبيق: د. فايز الداية، ديوان المطبوعات الجماعية الجزائر، ١٩٧٣م.

٢٥. علم الدلالة: بالمر، ترجمة، مجيد الماشطة، منشورات الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥ م.

٢٦. علم اللغة العام: فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

٢٧. علم اللغة/ مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار النهضة العربية بيروت، (د.ت).

٢٨. فخر الدين الرازي بلاغياً: ماهر مهدي هلال، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م.

٢٩. فردينان دي سوسير: جوليولشي، بحث في كتاب: (اللغة علماً، مقالات في علم اللغة الحديث)، اختارها وترجمها، سعيد الغانمي، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٧ م.

٣٠. اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير، ابو الفتح ضياء الدين بن محمد (ت٦٣٧هـ)، مكتبة المقدسي، ١٣٥٧هـ.

٣١. لسان العرب: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (ت ٧١١هـ)، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥.

٣٢. اللسانيات العربية والاصطلاح اللغوي: د. عبد السلام المسدي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد (١٦ – ١٧) لسنة ١٩٨١ م.

٣٣. اللغة والمعنى/ دراسة في فلسفة لودفيج فتغنشتاين: أسارى فلاح حسن، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١١م

٣٤. اللغة: فندريس، ترجمة: الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة١٩٥٠م.

٣٥. مبادئ في علم الأدلة: رولان بارت، تعريب: محمد البكري، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٦. مدخل إلى السيميو طيقيا (مقالات مترجمة): اشراف: سيزا قاسم ونصر حامد زيد، دار الياس العصرية، القاهرة١٩٨٦م.

٣٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ومحمد جاد المولى وعلي محمد البيجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٣٨. المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥ هـ) حُقق باشراف: طه حسين وابراهيم مدكور، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، ١٩٦٠ – ١٩٦٥ م.

٣٩. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: د. نعمة رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠١م.

٤٠. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦ م

٤١. الموضح عن جهة اعجاز القرآن (الصرفة): الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين، تحقيق: محمد رضا الانصاري، مؤسسة الطبع والنشر الرضوية، مشهد، ١٤٢٤ هـ.

٤٢. الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الطبعة الأولى المحققة، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧.

٤٣. نهاية الإقدام في علم الكلام: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (ت ٥٤٨ هـ)، صممه ألفرد جيوم، مطبعة المثنى، بغداد، (د.ت).

٤٤. الوافي بالوفيات: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ) اعتناء: هلموت ريتر، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

٤٥. وفيات الأعيان وأبناء الزمان: ابن خلكان، أحمد بن أحمد (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م.

مصادر الانترنيت:

١. الدليل اللساني عند فردينان دي سوسير: أ. يونس ادنيسن
WWW.M.a–arabia.Com .

٢. الدلالة اللغوية: اعتباطيتها وقيمتها عند دي سوسير: رشيد الاركو،
WWW.Alukah.net .

Sources and references

The best thing to start with, the Holy Quran

1. The mental trend in interpretation (a study on the issue of metaphors in the Qur'an at the Mu'tazila): Dr. Nasr Hamed Abu Zaid, second edition, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1982.
2. Al-Ahkam on Usul Al-Ahkam: Al-Amdi, Saif Al-Din Ali bin Abi Ali bin Muhammad (d.631 AH), revised by Sheikh Ibrahim Al-Agouz, fifth edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Beirut, 2005 AD.
3. Guiding the stallions to achieve the truth from the assets: Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad. (D. 1255 AH), Dar of Scientific Books, Beirut (D. T).
4. The Secrets of Rhetoric in the Science of Al-Bayan: Abd al-Qaher al-Jarjani (d. 471 AH), Muhammad Rashid Rida's Bulletin, Sixth Edition, Cairo, 1959 AD.
5. Heritage assets in modern linguistics: Dr. Karim Zaki Hossam El-Din, third edition, Cairo, 2001.
6. Linguistics (modern linguistics) principles and media d. Michel Zakaria, Second Edition, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1983.
7. The Beginning and the End: Ibn Kathir, Ismail Ibn Kathir al-Dimashqi, (d. 774 AH), Knowledge Library, Beirut, 1966 AD.
8. Reflections on the philosophy of language: Dr. Omar Zahir, Al-Rafidain for Printing and Publishing, Beirut, 2008.
9. The Revealing Interpretation: Muhammad Jawad Mughniyeh, The Islamic Book Dar Foundation, Beirut, 2003 AD.
10. Al-Tafseer Al-Kabeer (Mafateeh Al-Qaeeb): Al-Razi, Fakhr Al-Din Muhammad Bin Al-Hussein Bin Ali (d. 606 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, fourth edition, Beirut, 2013 AD.
11. Linguistic thinking in the Arab civilization: Dr. Abd al-Salam al-Masdi, Dar al-Kitab al-Jadid, third edition, Beirut, 2008.
12. Al-Khsaies: Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman (ed. H), edited by: Muhammad Ali Al-Najjar, Dar Al-Kitaab Al-Arabi, Beirut, 1957 AD.
13. The Linguistic Lesson from Judge Abdul-Jabbar Al-Mu'tazili: Haydar Jawad Al-Anbari, Master Thesis, College of Arts, Al-Mustansiriya University, 12 AD.
14. Lessons in public linguistics: Ferdinand de Saussure, Arabization: Salih al-Qarmawi, Muhammad al-Shaws and Muhammad Ajayna, Dar al-Kitab al-Arabi, Libya - Tunisia, 1985 AD.
15. Lessons in semiotics: Dr. Mubarak Hanoun, Toubkal Publishing House, Casablanca 1987.

16. 16. The meaning of the words: Dr. Ibrahim Anis, The Anglo-Egyptian Library, Third Edition, 18 AD.
17. The Qur'anic connotation of Al-Sharif Al-Murtada / linguistic study: Dr. Hamid Kazem Abbas, House of Cultural Affairs, Baghdad, 2004 AD.
18. Evidence of Miracles: Abd al-Qaher al-Jarjani, edited by: Mahmoud Muhammad Shakir, Al-Khanji Library, Third Edition, Cairo, 1989 AD.
19. The role of the word in language: Stephen Ullman, translated and presented to him by: Dr. Kamal Muhammad Bashir, Youth Library, Third Edition, Cairo, 1973 AD.
20. The pretext to the fundamentals of Sharia: Al-Sharif Al-Murtada, Abu Al-Qasim Ali Bin Hussein (d. 436 AH), investigation by: Dr. Abu al-Qasim Karji. Dan Shikah Holding Press, Tehran, 1348 AH.
21. Al-Sharif Al-Murtada's Messages: Al-Sharif Al-Murtada, Abu Al-Qasim Ali Bin Al-Hussein, Presented and Supervised by: Ahmed Al-Husseini, Publications of the founder of Al-Nour Publications, Beirut, 1405 AH.
22. Al-Sahbi in Philology: Abu Al-Hassan Ahmad Ibn Faris (d. 395 AH). Edited by: Sheikh Ahmad Saqr, Al-Mukhtar Foundation, Cairo 2005 AD.
23. Behavioral Semantics: Lanes, translation: Translated by: Majid Al-Mashta, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1986 AD.
24. Arabic semantics / theory and practice: Dr. Fayez Al-Daya, Algeria Collective Publications Office, 1973 AD.
25. Semantics: Palmer, translation, Majeed Al-Mashhath, Al-Mustansiriya University Publications, Baghdad, 1985 AD.
26. General Linguistics: Ferdinand de Saussure, translated by: Dr. Joel Youssef Aziz, reviewed by: Dr. Malik Yousef Al-Muttalabi, Arab Horizons Dar, Baghdad, 1985 AD.
27. Linguistics / Introduction to the Arabic Reader: Dr. Mahmoud Al-Saaran, the Arab Renaissance House Beirut, (D.T.)
28. Fakhr Al-Din Al-Razi Reporter: Maher Mahdi Hilal, Ministry of Information, Baghdad, 1977 AD.
29. Ferdinand de Saussure: Juliolchi, research in the book: (Language as Science, Articles on Modern Linguistics), selected and translated by Said Al-Ghanmi, The Small Encyclopedia, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1987 AD.
30. The Pulp in Refining Genealogies: Ibn Al-Atheer, Abu Al-Fath Dia Al-Din Bin Muhammad (d. 637 AH), Al-Maqdisi Library, 1957 AH.
31. Lisan al-Arab: Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram bin Manzur, (d.711 AH), fourth edition, Dar Sader, Beirut, 2005.

32. Arabic linguistics and linguistic convention: Dr. Abd al-Salam al-Masdi, Journal of Cultural Life, Tunisia, Issue (16-17) for the year 1981.
33. Language and Meaning / Study in Philosophy of Ludwig Wittgenstein: Asari Falah Hasan, Al-Ma'mun House for Translation and Publishing, Baghdad, 2011AD.
34. Language: Fandris, translation: Al-Dakhli and al-Qasas, The Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1950.
35. Principles in the Science of Evidence: Roland Barthes, Arabization: Muhammad Al-Bakri, Joint Publication Project, Cultural Affairs House, Second Edition, Baghdad, 1986 AD.
36. Introduction to the Simio Tiqiya (translated articles): Supervision: Siza Qasim and Nasr Hamid Zaid, Elias Al-Asriyah House, Cairo, 1986 AD.
37. Al-Mizhar in Language Sciences and its Types: Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdel-Rahman (d. 21 AH), edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Muhammad Jad Al-Mawla and Ali Muhammad Al-Bijawi, Al-Asriyya Library, Beirut, 2009 AD.
38. Al-Mughni in the doors of monotheism and justice: Judge Abdul-Jabbar Al-Mu'tazili (d.415 AH) investigated under the supervision of: Taha Hussein and Ibrahim Madkour, Ministry of Culture and National Guidance, Egypt, 1960-1965 AD.
39. Linguistic Research Methods between Heritage and Contemporary: Dr. Nehme Rahim Al-Azzawi, The Scientific Complex Press, Baghdad, 2001 AD.
40. Linguistic Research Methodology between Heritage and Modern Linguistics: Dr. Ali Zwain, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1986 AD.
41. Al-Sharf al-Murtada, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hussein, explained on the authority of the miracle of the Qur'an (the pure): Al-Sharif Al-Murtada, Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hussein, edited by: Muhammad Reda Al-Ansari, Al-Razwia Printing and Publishing Corporation, Mashhad, 1424 AH.
42. Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an: The Scholar Sayyid Muhammad Husayn al-Tabataba'i, first edited edition, Al-Alamy Foundation Publications, Beirut, 1997.
43. The End of Al-Iqdam in the Science of Theology: Al-Shahristani, Muhammad bin Abdul-Karim, (d.548 AH), designed by Alfred Jayyum, Al-Muthanna Press, Baghdad, (D. T.).
44. Al-Wafi about the deaths: Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aybak, (d. 764 AH), Attention: Helmut Ritter, second edition, 1991 AD.

45. Deaths of notables and sons of time: Ibn Khulkan, Ahmad Ibn Ahmad (d.681 AH), edited by: Muhammad Muhi al-Din Abd al-Hamid, al-Saada Press, 1948.AD.

Internet resources:

1. Linguistic evidence for Ferdinand de Saussure: A. Yunus Adenson. WWW.M.a–arabia.Com .
2. Linguistic significance: its arbitrariness and value according to de Saussure: Rachid Alarco, WWW.Alukah.net

Abstract

The linear quality of speech/A linguistic study in the interpretation of Al-Razi ("Mafateeh Al-Qayeeb")

Abstract:

This search (The linear quality of speech/A linguistic study in the interpretation of Al-Razi) It means studying some of the linguistic phenomena raised by Fakhr Al-Din Al-Razi in his great Explanation known as ("Mafateeh Al-Qayeeb") And standing at what is defined in contemporary linguistics as (The linear quality of speech).

And it has been proven that Al-Razi confirmed what we would describe today as (The linear quality of speech) That is, the signifier is of an audit nature and that it occurs in time alone, and Al-Razi believes that the reason for the sin of speech is the condition of testimony, Al-Razi has guided some new concepts on this issue, especially what he called (Respectively and Successions), or in other words that the spacing between letters leads to a reversal of the nature of speech, and congruence is impossible.

Key words: Al-Razi, Quranic linguistics, Arab heritage, language and time.